

كن مع الله جل في علاه

بقلم: عبد المجيد بن محمد مباركي

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

كن مع الله جل في علاه

بقلم: عبد المجيد بن محمد مباركي



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى المتضرعين إلى الله آناء الليل وأطراف النهار
إلى الأخفياء الأنقياء الأتقياء السائرين إلى الله تعالى
في صمت، المعروفين عند أهل السماء، أهديهم هذه
الكلمات، ومنهم نتعلم الصدق والإخلاص لوجه الله الكريم سبحانه
وتعالى.

المؤلف



قال عز وجل:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ — سورة النمل (٦٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»، أو قال: «خَائِبَتَيْنِ». رواه ابن ماجه وأبي داود.

ولأبي الفتح البستي في عنوان الحكم:

واشدُّ يدك بجل الله معتصمًا = فإنه الرُّكن إن خانتك أركانُ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ = وَيَكْفُهُ شَرٌّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا

من استعان بغير الله في طلبٍ = فإن ناصرَه عجزٌ وخِذلان

بدايةً، أخي الكريم أذكرك ونفسي بهذه الكلمات لعلك قرأتها من قبل

أو سمعتها أكثر والفارق بيننا أنني قيَّدتها بالكتابة وقد قال: أهل العلم،

العلم صيد والكتابة قيد، والمهم في ذلك أن ننتفع بما كتبنا أو سمعنا

بإخلاص العمل لوجه الله تعالى، وأن يكون صوابًا على سنة نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم وقد أحسن من قال:

وما من كاتب إلا سيفنى = ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء = يسرُّك في القيامة أن تراه



وما أروع الكتابة حين نكتب فنذكر الله تعالى، نسبحه، نحمده، نمجده ونستغفره، وما خلقنا سبحانه وتعالى إلا لعبادته كما في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الآيات: ٥٦/— ٥٧/— ٥٨.

لذلك خلقنا ولم نكن شيئاً مذكوراً قال عز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾، سورة الإنسان (١). فالحمد لله الذي أحسن إلينا، وجعل حياتنا ومماتنا خالصة له، ولدينه ولتعاليم نبيه ومصطفاه ﷺ.

قال جلّ وعلا: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام (١٦٢).

أيها المضطر ومن مسّه الضر أو اشتكى الفقر أو ضاقت به الدنيا بما رحبت، فليس لك من أحد غير الله تعالى مفرج الكرب وكاشف الضيق والصعب..

ولالإمام الشافعي:

ولرُبّ نازلةٍ يضيق بها الفتى = ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها = فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ
وقد أحسن من قال:



إن ربًّا كفأك بالأمس ما كان = سيكفيك في غدٍ ما
يكون
وما أجمل من أن نثني بالصلاة على الحبيب المصطفى صلى الله عليه
وسلم وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.
اللهم أخلص عملنا لوجهك الكريم، واجعله صواباً على سنة نبيك
الأمين صلى الله عليه وسلم، وهذا جهدُ المقل وخير الأعمال أدومها
وإن قل، والله يتقبلها منّا، يزيها ويباركها منّة منه وكرماً جلّ في
علاه.

عبد المجيد بن محمد مباركي



وقد أجاد وأفاد من قال:

لا تَسْأَلَنَّ بَنِي آدَمَ حَاجَةً = وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُغْلَقُ

اللَّهُ يَعْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه = وَبَنِي آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَعْضَبُ

دع سؤال المخلوق وارفع يديك إلى الخالق، واستمسك بحبل الله معتصماً، فليس لك غير الله من أحد، وليس لها من دون الله كاشفة.. إذا ضاقت بك الدنيا وذقت مرّها من بؤس ودين وفقر، أو أتعبك المرض وأعياك السرير، وأسهرك أنين العلل، إذا ظلمك ظالم واستعدى عليك معتدٍ، فليس لك غير الله، فأعرفه في الرخاء يعرفك في الشدة، والتجئ إلى العزيز الحكيم وفي الحديث القدسي: «وعزّي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين».

وقد قيل:

لا تظلمنّ إذا كنت مقتدرًا = فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه = يدعو عليك وعين الله لم تنم

سيدفع الله عنك البلاء والضيق، وقل: ربّ قد مسني الضرّ، وادعُ بلا إله إلا أنت سبحانك، ونادٍ من يجيب المضطر إذا دعاه، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: « دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت » ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾



الأنبياء/ ٨٧ ، « لم يدع بها مسلم ربّه في شيء قط إلا استجاب له »؛
رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني.

ربّاه يا كاشف البلوى ويا سامع الشكوى، اللهم استجب لعبدك
المقصر الذليل، ربّ إنّنا في كربة فارحم عبادًا كلهم ذو النون، اسجد
واقترّب من ربّك، تذلل في خضوع وحسرات، واسكب الدموع
والعبرات خاشعة مشفقة من خشية الجليل سبحانه وتعالى، وقل: ربّ
أنا الفقير وأنت الغني، وأنا الضعيف وأنت القوي، وأنا الذليل وأنت
العزيز، في سكون الليل وهدأت الظلام في إشراقة الفجر وحيوط
الضياء والنور، مجدّ ربّك بمحامده بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء، وصلّ
على الحبيب المصطفى، ثم اسأل الله تعالى من خيرى الدنيا والآخرة،
وقل: ربّ لا بعلمي ولا بعملی، وإنّما بفضلک ورحمتک وجميل سترك
وكریم عطائك، ربّ لعلی عملت عملاً صالحاً خالصاً لوجهك الكريم،
ففرّج به همی واقض حاجتی.

اللّهم لا تعاملني بما أنا أهله وعاملني بما أنت أهله يا كريم، ثم اختتم
بالصلاة على سيدنا محمد وسلم تسليمًا.
قد أخذت بالأسباب وعلى الله فتح الأبواب، وقبول الدعاء
المستجاب، واعلم أن رزقك في السماء.



واعلم أن لكل داء دواءً، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأن المؤمن مبتلى، وأن الفقر امتحان كما أن الغنى امتحان، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، فلا يفرح الثاني بالعتاء ولا يحزن الأول بالمنع، فتلك سنة الحياة، وحكمة ربّ العالمين، والله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا لمن يحب، لعلك تعرف كل هذا، وإنما أردت تذكير نفسي وإيّاك.

إذا ضاقت بك الدنيا وأرقتك الهموم، وشغلتنك الغموم، إذا أُغلقت دونك الأبواب، وصعّرت عنك الناسُ الحدود، ولم تجد أحد يجانبك ولا متكأً يسندك، فاعلم أن رحمة الله أقرب إليك من جبل الوريد، واعلم أن مع العسر يسراً، ومع الضيق فرجاً، وأن بعد القرع فرح وبعد الكآبة والألم بسمة وأمل، تلك هي أحوال الدنيا والأيام دول بين الناس، والسعيد فيها من رضي عنه خالقه جلّ وعلا، ورحم الله القائل:

ليست السعادة جمع مالٍ = ولكن التقي هو السعيدُ
فأبشّر بفجر جديد ويوم سعيد من العزيز الحميد، فلا تحمد غير ربّك ولا تركن إلاّ إليه سبحانه وتعالى، فهو أقرب إليك من جبل الوريد، ألا تعلم أننا فرطنا في جنب الله تعالى، وقد خلقنا ورعانا في بطون الأمهات ونحن أجنّة في الأرحام، أمدنا بالحياة بجبل الوريد، حفظنا



في الصبا والشباب ومُقتبل الأعمار، ومن عاش مَنَّا رُدَّ إلى أرذل العمر،
أطعمنا وسقانا ومما سألنا ربَّنَا أعطانا؛ قال تعالى على لسان إبراهيم
الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٧٨/٧٩-٨٠ /
الآيات: من سورة الشعراء.

والحمد لله ربّ العالمين أن جعلنا من أمة الإسلام، خير أمة أُخرجت
للنَّاس، وكفى بنعمة الإسلام نعمة، وابتعث إلينا خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم وجزا الله القائل:
ومما زادني شرفاً وتيهاً = وكدت بأحمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي = وأن صيرت أحمدَ لي نبياً

وقد علمتنا الحياة أنه لا يثبت معك إلا من يُحبُّك، ولا يضحى لأجلك
إلا من يعزك — والله المثل الأعلى — ومن جرَّب أيقن أنه لا أحد غير
الله تعالى يستطيع أن يدفع عنك الشر والضر، الرُّكن المتين والجنب
العظيم، ونحن عن ذلك غافلون ولأوقاتنا مضيعون، قد فرطنا في جنب
الله تعالى ولم نذكره إلا قليلاً، واستعنا بغيره على قضاء حوائجنا فلم
تُقضَ، اللهم ردنا إليك رداً جميلاً.

وصرّف قلوبنا إلى طاعتك، وثبتتها على ذلك، واعلم أنه الله العزيز
الحكيم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي



صلى الله عليه وسلم فقال: « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلُ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »؛ رواه الترمذي.

الله الذي يجعل لك من الضيق مخرجاً، ومن العسر يسراً، ومن الصعب سهلاً، يكثر القليل ويبارك فيه، ويجازي الحسنة بعشر أمثالها سبحانه وتعالى ويضاعف لمن يشاء ويزيد، ما أعظم شأنه قال عز وجل: في الآية (٢٩) من سورة الرحمن: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

قال رسول الله ﷺ في تفسيرها: «من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين»؛ تفسير ابن كثير عن أبي الدرداء. إذا أسأت — وكلنا كذلك — فأحسن وقد قيل:

ومن ذا الذي ما ساء قط = ومن له الحسن فقط
قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء (١٧).



تُبُّ وَعُدُّ، وارجع وفرًّا إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي، واقطع صلتك برفقاء السوء، فإن الصاحب صاحب، واعلم أنّه إذا رضي الله عنك ملكت كلَّ شيء وإن لم يكن معك، واذكر في ذلك الأنبياء والصحابة والتابعين من بعدهم، وإذا غضب الله عليك خسرت كلَّ شيء وإن ملكته في يدك، واذكر في ذلك فرعون وقارون وهامان وغيرهم ممن طغى وبعى وتجبرّ.

وفي الحديث القدسي: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ؛ » رواه البخاري عن أبي هريرة.

في زمن الحروب والدمار وكثرة المهرج، في زمن الغلاء والوباء، وانهيار الاقتصاد العالمي بسبب الفساد الذي عمَّ وطمَّ، قُتل الملايين، أبادتهم الحروب، وغيرهم قتلهم الوباء والداء، والمنسيون قتلهم الجوع والبرد والتشريد والظلم، والاضطهاد المتسلط على المسلمين في مشارق



الأرض ومغارها، والله يُمهّل ولا يهمل؛ قال تعالى في سورة إبراهيم (٤٢): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

وقال تعالى في سورة الروم ﴿٤١﴾: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ تفسير ابن كثير.

وبرغم كل ما يتعرض إليه المؤمن من ابتلاء، فهو خير له؛ كما قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»؛ رواه مسلم.

ما زال التوحيد والقرآن وذكر الله تعالى، يرفع عن هذه الأمة كل بلاء وغمّة، وما زالت الصلاة والزكاة والصوم والحج، أركان هذه الأمة وعمادها، وما زالت الإنابة والاستغفار وصلة الرحم، وصنائع المعروف تقيها مصارع السوء والآفات والهلكات، وما زال الدعاء والرجاء سُبُلَ النَّجاة وسهام الليل التي تُقضى بها الحاجات، وتُحلُّ بها



الأزمات، فالحمد لله واهب النعم ومقسّم القسَم أن جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس.

قال تعالى في الآية (١١٠) من سورة آل عمران: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

ومن أروع ما قيل:

يا مَنْ أجبْت دعاء نوح فانتصر

وحملته في فُلكك المشحون

يا من أحال النَّارَ حولَ خليله

روحًا وريحانًا بقولك كوني

يا من أمرت الحوت يلفظ يونس

وسترته بشجيرة اليقطين

يا ربُّ إنا مثله في كربة

فارحَمَ عبادًا كلهم ذو النون

تم الكلام وربُّنا محمود

وله المكارمُ والعلا والجود

وعلى النبي محمد صلواته

ما ناح قُمري وأورق عودُ



صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن الدنيا مصيرها إلى زوال، وهي دار فناء لا دار بقاء، ودار
مر لا دار مقر، ودار فتن وابتلاء، لا دار جزاء وعطاء، ورحم الله
قائل:

أيا عبدُكم يراك الله عاصياً = حريصاً علي الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى = ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصي
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها = لكان رسول الله حياً وباقياً
ولكنها تَفنى ويفنى نعيمها = وتَبقى الذنوب والمعاصي كما هي
ولو لم يلبس المرء ثياباً من التقى = تجرّد عُرياناً ولو كان كاسياً
ختاماً: لما سبق اعْمَلْ وَفَقْنَا الله وإياك لخيري الدنيا والآخرة عملاً
يبيض وجهك ويزيل همّك، ويرفع درجتك، ويقيل عثرتك، ويحفظك
ولذلك، وتذكر الغلامين صاحبي الجدار في سورة الكهف الآية (٨٢)
من قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ
أَمْرِي﴾.

ومما ينسب للإمام علي رضي الله عنه:

فاغرس أصول التقى ما دمت مقتدرًا = واعلم بأنك بعد الموت لاقبها



تجني الثمارَ غدًا في دارٍ مكرمة = لا منَّ فيها ولا التكديرُ يأتيها
الأذن والعين لم تسمع ولم تره = ولم يجرِّ في قلوب الخلق ما فيها

فيا لها من كراماتٍ إذا حصلت = ويا لها من نفوسٍ سوف تحويها
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي
الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»؛ رواه البخاري.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم:

عبد المجيد بن محمد مباركي

